خاتمة عهد الملك عبدالعزيز

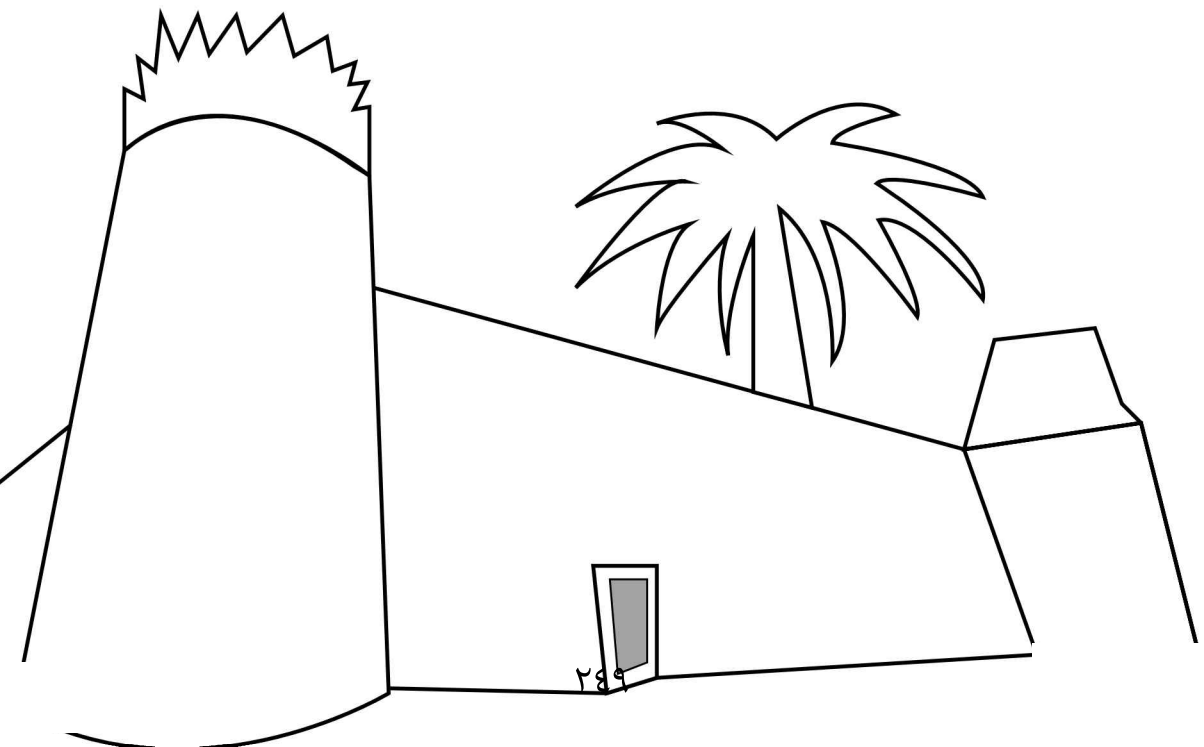

عاش الملك عبدالعزيز ثمانين عامًا حافلة بالأحداث المُهمَّة؛ أسريًّا، ووطنيًّا، ودوليًّا. وقد سبقت الإشارة على أنه وُلِد في أسرة حكم له جذوره التاريخية الممتدة نحو قرن ونصف القرن من الزمن. ونشأ في عاصمة حكمها الثانية، الرياض، كما نشأ كثير من أبناء تلك الأسرة الذين عاصروه، أو سبقوه. فَتأدَّب بآدابها المتوارثة، وتَعلَّم ما كان لا بد له من إتقانه من رماية وركوب خيل ومبارزة ونحوها، كما تَعلَّم ما كان يجب أن يَتعلَّمه من تلاوة للقرآن الكريم، وفهم لأصول الدين، وإدراك لمبادئ القراءة والكتابة. وكان له مما حباه الله من صفات ذاتية ما سَهَّل عليه إتقان ما لا بد من إتقانه، وتَعلُّم ما لا بد من تَعلُّمه.

على أن الملك عبدالعزيز شهد، وهو ما زال يحبو في طفولته، مشكلات الفرقة بين أفراد أسرته. وأبصر، وهو يَتقدَّم في تلك الطفولة، كيف كانت تلك المشكلات معول الهدم الأكبر في إنهاء الدولة السعودية الثانية. ثم عاش ريعان شبابه غربة اضطرارية بعيدًا عن قاعدة أسرته، ومسقط رأسه، ومرتع طفولته. واجتمعت تلك الصفات الذاتية مع التجارب التي مَرَّت به وبأسرته وموطنه لتُكوِّن منه شخصية قيادية رائدة في مستقبل أيامه.

وانطلق الملك عبدالعزيز شابًّا جريئًا مُصمِّمًا على إعادة مجد أسرته، وتوحيد أجزاء البلاد تحت رايته. وكان عام ١٣١٩هـ بداية الانطلاقة التوحيدية، التي استمرت مُتوهِّجة الحَيويَّة حتى وصلت إلى هدفها المنشود بعد ربع قرن من الكفاح، الذي قاده بمهارة وعزيمة، ووقف معه فيه مواطنوه بشجاعة وتضحية. ولم يكن الوصول إلى هدف التوحيد نهاية المطاف. بل تلا ذلك سنوات تقرب من العشر؛ تثبيتًا لذلك التوحيد، وذودًا عن حياض الوطن. وما كاد التوحيد يَتمُّ حتى بدأت عجلة التطوير الحضاري والتنظيمي تدور. فكان أن تَحقَّق ما تَحقَّق من إنجازات سبق الحديث عن جوانب منها.

والمتأمِّل في سيرة الملك عبدالعزيز يرى أن من أبرز صفاته القيادية: التَّديُّن؛ سلوكًا ودعوة، والكرم غير المُتكلَّف، والشجاعة المتَّزنة، والذكاء والفراسة، وقوة الإرادة، والحرص على المشورة، وحسن القيادة الحربية، ووعي التاريخ، وعمق المعرفة بقومه؛ حاضرة وبادية.

هكذا كانت حياة الملك عبدالعزيز؛ عَملًا متواصلًا، وإنجازًا مثمرًا. وفي اليوم الثاني من شهر ربيع الأول، عام ١٣٧٣هـ (١٩٥٣/١١/٨م) وافاه الأجل المحتوم في مدينة الطائف. فَنُقِل جثمانه إلى الرياض حيث صُلِّي عليه، ودُفِن في مقبرة العَوْد. فرحمه الله، ورحم كل من سعى معه لتحقيق وحدة البلاد وتَقدُّمها.

*****